المحاضرة الثانية: تفسير الثقافة والصراع الدائم حول االمعنى

1–مفهوم الثقافة:

تشير الثقافة لدى فرنسيس بيكون الى مفهوم التثمير الزراعي ولدى فولتير الغرس وتنمية العقل، ويعرف "كلباتريك الثقافة على انها: كل ما صنعه يد الانسان وعقله من الاشياء، ومن مظاهر في البيئة الاجتماعية اي كل ما اخترعه الانسان او ما اكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعية، أو ما اكتشفه وكان له دور في العملية االجتماعية.

وجاء ادوارد تايلور Tylor في كتابه " primitive Culture "الثقافة البدائية " عام 1871 وعرفها بأنها ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع ."(Peterson،1979) ولا يزال هذا التعريف من أشهر وأهم التعاريف رغم أن تايلوز Tylor لم يختبر الثقافات التي كان يدرسوها مثل الكثير من العلماء الانثربولوجين كفريزر Frazer ورغم ذلك فلقد فتح المجال من خلال أسئلته ،فلقد حاول العلماء تفسير وفهم الكل المركب او المعقد للثقافة ما ساعد على بروز علماء الأنثروبولوجيا كمشاركين ثقافيين أمثال برونيسلاف مالينوفسكي وألفريد رادكليف براون وفرانز بواس ومارجريت ميد.

وقد قام عالما الأنثروبولوجيا الأمريكيين كروبر وكلوكوهنKluckhohn & Kroeber 1952 ، بمراجعة نقدية لمفاهيم وتعريفات الثقافة، حيث قاموا بتجميع قائمة من 164 تعريفًا مختلفًا، ووفقا لهم تتكون الثقافة من أنماط صريحة وضمنية للسلوك المكتسب والمنقول عن طريق الرموز، والتي تشكل الإنجازات المميزة للمجموعات البشرية، بما في ذلك تجسيدها في المصنوعات اليدوية؛ يتكون الجوهر الأساسي للثقافة من الأفكار التقليدية (أي المشتقة والمختارة تاريخيًا) وخاصة القيم المرتبطة بها ؛ويمكن اعتبار أنظمة الثقافة ، من ناحية ، نتاج عمل ، ومن ناحية أخرى ، كعناصر مشروطة للعمل المستقبلي.

2–الدراسات الثقافية والثقافة:

مع صعود تيارات ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، وظهور الدراسات الثقافية، أصبحت الثقافة موضوعا يستدعى اهتمام الأوساط الفكرية والنقدية بالنظر إلى التحولات السوسيوثقافية التي طرأت على

المجتمعات الغربية، وظهور حركات التمرد والثورة على المراكز، وهو ما ادى الى البحث اكثر في المفهوم الانثروبولوجي للثقافة ضمن ابعاده الديناميكية، وقد تصدى انصار الدراسات الثقافية للمفاهيم الطبقية للثقافة بتقسيمها الى ثقافة رفيعة وثقافة وضيعة على اعتبار انه لا يمكن ربط الثقافة بالرفعة الاجتماعية.

وفي هذا الاطار تنطلق الدراسات الثقافية في فهمها لمفهوم الثقافة على انها عملية انتاج نمط الحياة المتبع داخل الجماعة بعيدا عن هوية المنتج لها (من يقف وراء انتاج الثقافة واهدافه)، حيث يتم التركيز على نمط الحياة ضمن ممارسات الأفراد في حياتهم اليومية.

والانطلاق من هذا المفهوم للثقافة يحيل الى العلاقة بتقسيم السلطة داخل المجتمع، لهذا ركز انصادر الدراسات الثقافية على العلاقى بين الثقافة والسياسة وقد اهتمو بتطوير الكثير من المفاهيم المرتبطة بالثقافة مثل السياسات الثقافية، الاحياء الثقافي، التعددية الثقافية...

ولعل الصعود القوي لوسائل الإعلام هو الذي أدّى إلى هذا الاهتمام المتزايد بالثقافة الجماهيرية، ذلك أنّ التحول الذي حدث هو الانتقال من الثقافة النخبوية إلى ثقافة الفئات الشعبية والمهمشة اجتماعيا، التي تم استبعادها عن اهتمامات المؤسسات الثقافية والأكاديمية الرسمية.

3-الثقافة والصراع حول المعنى:

تنظر الدراسات الثقافية إلى أنواع مختلفة من النصوص ضمن إطار الممارسة الثقافية، أي العمل والإنتاج وتجليات الحياة اليومية للكائن البشري، التي تتأثر بأبعاد اقتصادية وبالطبقة والعرق والجنوسة والسياسة وبالحاجة والرغبة. وبما أن الدراسات الثقافية تهتم بدراسة الثقافة أو الثقافة المعاصرة من حيث أسسها التاريخية وصراعاتها، فهي تقوم بتحليل النصوص من زوايا مختلفة وتركز على المعنى الذي تولده

النصوص من خلال دراسة شكلها وبنيتها وسياقاتها وأسسها النظرية، وهذا يفترض أن الدراسات الثقافية فضفاضة متداخلة الاختصاصات، وتتبع مناهج ومقاربات متعددة، منها مثلا ما يتعلق بالنظرية الاجتماعية أو النظرية السياسية والنسوية والاقتصاد السياسي والمتاحف والفن والسياحة ووسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي والأفلام. فعلى سبيل المثال يمكن دراسة الثقافة من الناحية الاجتماعية عبر وصف موضوعي لمؤسساتها ووظائفها كأنها تتبع نظاما أضخم وأكثر تنظيما، أو يمكن دراستها اقتصاديا عبر وصف آثار الاستثمار والتسويق على الإنتاج الثقافي. وتعني الدراسات الثقافية بالممارسات والخطب الثقافية لدى جماعات وأعراق وشعوب وأمم مختلفة صغيرة كانت أو كبيرة مهيمنة أو هامشية.

فقد سعت الدراسات الثقافية الى بناء تصور دينامي يقدم تفسيرا حقيقيا للثقافة ضمن الحياة اليومية للافراد ومدى اسهامها في التأثير على حياتهم، وهو ما يتفق مع التفكير الماركسي الذي يؤكد على ارتباط الثقافة بالصراع داخل المجتمع، باعتبار ان الثقافة احدى اهم ادوات ادارة الصراع داخل المجتمعات، وان كان ماركس يركز على العوامل الاقتصادية في صناعة التاريخ وبالمقابل لا يعطي الثقافة المكانة المناسة لها في حركية التطور الاجتماعي، وهو ما انتقده الماركسيين المحدثين واعتبراه تفسيرا ضيقا ووضعو له بدائل تعتبر الثقافة محركا اساسيا للتطور الاجتماعي دون الخروج عن التصور الكبير للماركسية عن الصراع حول المعنى الحقيقي للعالم، وحول التصور الامثل له، وانما ما اختلف فقط هو موقع الصثافة من هذا الصراع.

وقد كانت نشأة الدراسات الثقافية كنقد على بعض التيارات التي كانت تعلي من شأن ثقافة على حساب اخرى، واعتبرته شكلا من اشكال الدكتاتورية السياسية ورات ان الحل هو فتخ الافاق لكل اشكال الانتاج الثقافي الموجودة في المجتمع، واذا كان الصراع حول المعنى حتمية فإن عمليات انتاج المعنى من خلال الثقافة مفتوح امام الجميع لا لثقافة معينة على حساب الاخرين.